جبر الخواطر عند الصحابة ومن بعدهم

ولعلّ من أعظم الشّواهد على هذا:

تلك الدّمعة الّتي انبثقت من المرأة الأنصاريّة مواساةً لأمّنا الحَصان الرَّزان الطّاهرة العفيفة الصّدّيقة عائشة _رضي الله عنها_، في حادثة الإفك عندما اتهمها المنافقون في شرفها وكادت أن تموت من الحزن والبكاء، حينها وقد برأها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[33]

قالت عائشة: "فَبَيْنَما أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي". فلعل هذه الدّمعة الّتي جبرت خاطر أمّنا عائشة

[33] النور: ١١

تأمل أيها القارئ هذه المرأة لم يذكر لها كلام قالته عائشة ﵂ وإنما جائت قرأتها تبكي فبكت لبكائها

ما أجمل هذه المشاعر .

فكانت عائشة _﵂_ كلما حكت القصة ذكرت هذه المرأة التي جبرت خاطرها.

فما أجمله من خلق لاينسى أبدا وخاصة عند أصحاب مكارم الأخلاق.

وهذا حسان بن سعيد المخزومي أراد أن يبني جامعاً، فأتته امرأة بثوب لتبيعه، وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع، وكان الثوب لا يساوي أكثر من نصف دينار فطيب خاطرها، واشتراه منها بألف دينار.

وقيل أن سفيان الثوري _﵁_كان يقول: "ما رأيت عبادة أجل وأعظم من جبر الخواطر".

وهذا لاشك أنها من أعظم العبادات لكن بعد الفرائض

ولَمَّا صُلِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ _﵂_، دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ _رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا_ الْمَسْجِدَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ _﵂_ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ _وهي أُمُّ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ_، فَمَالَ إِلَيْهَا فَعَزَّاهَا، وَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الْجُثَثَ

لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ اللهِ _تعالى_؛ فَاتَّقِي اللهَ، وَعَلَيْكِ بِالصَّبْرِ". جبراً لخاطرها

عروة بن الزبير رجع من سفر، مات ولده بالعين، وقطعت رجله بالغرغرينا، وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، سمع إبراهيم محمد بن طلحة بما حصل لعروة بن الزبير، فذهب إليه يواسيه، فقال: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضاءك، وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض _إن شاء الله_، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، من علمك ورأيك، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك.

وابن لهيعة قاضي مصر حين احترقت مكتبته العظيمة، واحترقت داره، بعث إليه الليث بن سعد من الغد بألف دينار، الدينار أربعة غرامات وربع من الذهب، أي: أربعة آلاف ومائتين وخمسين غراماً من الذهب.

في تاريخ مدينة دمشق عن عطاء بن أبي رباح قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط وقد سمعته قبل أن يولد.

وذلك لا شك جبراً لخاطر هذا المتحدث.

أي خلق هذا وأي أدب ذاك! فما أجمل جبر الخواطر!

وانظر إلى علامة زمانه وشيخ الإسلام في عصره الإمام ابن تيمية، قال ابن القيم: جئت يوماً مبشراً لابن تيمية بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة له وأذى، فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله، _أهل الميت فعزاهم_ وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، فسُروا به ودعوا له.

أصحاب الأخلاق العالية أيها السادة يواسون حتى أهل عدوهم الذي كاد لهم وحسدهم وبغى عليهم.

وهذه أخلاق الإسلام العظيم.

وحين توفيت بنت المهدي الخليفة، جزع جزعاً لم يسمع بمثله، فجاء الناس يعزونه بلا فائدة، حتى جاء رجل، فقال له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رُزئت أجراً، وأعقبك خيرا، ولا أجهد بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير لك منها، ورحمة الله خير لها منك، فلم يروا تعزية أبلغ، ولا أوجز منها.

وعزى أعرابياً رجلٌ فقد ولده، وكان اسم الولد العباس، فقال له:

خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس

فإذاً: صبرك عليه خير من بقائه عندك، وما عند الله خير له مما عندك.

فهذا يُذهب الحزن أو يخفف من الآلام.

ومن المواقف التي راقت لي

ذات مرة قام المسؤول عن تقديم الناس في الحفل، فقام بتقديم خطيب ليلقي كلمة في الناس، وبعد أن عرف به قال: فليتفضل مأموراً غير مشكور... أخطأ وكان الواجب أن يقول: مشكوراً غير مأمور... فضحك الناس منه، ولكن الخطيب تدارك الأمر وجبر خاطره وقال: أحسن أخي في قوله مأموراً غير مشكور فالله أمرنا أن نقول الحق وننطق بالصواب، ولا داعي لشكرنا على ذلك لأنه واجب علينا، وقد قيل: لا شكر على واجب.

فجبر الخواطر أيها السادة طاعة يتقرب بها الإنسان إلى الله وهي من أجل القرب، بشرط واحد هو أن يكون هدف هذا الإنسان استنزال رضا الله _سبحانه وتعالى_ عنه.

ومن القصص المؤثرة عن جبر الخواطر: كان هناك رجل متوسط الحال تدهورت به الحياة بعد أن كان موظفاً مرموقاً في إحدى الهيئات الكبيرة،

حتى بدأ مشروع بسيط يفتح مطعماً شعبياً لتناول الطعام، وأخذ يحكى أنه في يوم

من الأيام فتح مطعمه فلم يجد زبوناً واحداً طوال النهار حتى وصل الى وقت الظهيرة وهو متعجباً لمَ لمْ يدخل أي شخص حتى الأن!

وبينما هو جالس حزين وجد امرأة عجوز تدخل الى المطعم ويظهر عليها علامات التعب وأنها فقيره فجهز

لها الطعام الذي طلبته ولم يقبل أن يأخذ منها نقودًا مقابل ذلك، وما إن ذهبت من المطعم حتى أخذ يحدث

ربه ويقول: يا رب إني جبرت بخاطر تلك المرأة العجوز، فاجبر بخاطري كما جبرت بخاطرها.

وما إن انتهى من دعائه إلا ووجد الكثيرون يحتشدون على المطعم يطلبون الكثير من الطلبات حتى انتهي

من كل الطعام الذي يتواجد في المطعم، وأخذ في تحضير المزيد ثم المزيد، وقد كان هذا الموقف مفاجئا له فمن

أين أتوا هؤلاء الأشخاص؟ وكيف تحول حاله بعد أن كان يائساً! وهنا تأتي حكمة الله وجبر الخاطر

الذي قام به مع المرأة العجوز.

فمن جبر خاطر الناس جبر الله خاطره.

وتشتد الحاجة إلى المواساة الأن؛ لأن أصحاب القلوب المنكسرة كثيرون، نظراً لشدة الظلم الاجتماعي في هذا الزمان، هذه معلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة، هذه أرملة، ذاك مسكين، هذا يتيم، والآخر عليه ديون وغم وهم، وهذا لا يجد وظيفة، وهذا لا يجد زواجاً، إلى غير ذلك من الأمور.

المواساة تطييب الخاطر بكلمة: ذكر، دعاء، موعظة، مال، مساعدة، جاه، قضاء حاجة، الكلمة الطيبة صدقة.

قال أحمد بن عبد الحميد الحارثي: ما رأيت أحسن خلقاً من الحسين اللؤلؤي، كان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه، الخادم هذا جاء من بعيد، في نفسه انكسار من الغربة، فلا أقل من أن يُطَيّب خاطره بشيء يشعره بأن من حوله له أهل، وتطييب الخواطر له أثر كبير على النفوس، يمسح المعاناة، ويُصَبّر، ويقوي القلب في مواجهة الشدائد، ويمنع من الانهيارات النفسية، والسكتات، والجلطات، والناس إذا ورد عليهم الوارد القوي وقلوبهم فيها ضعف ينهارون، وقد يموتون.

وعكس تطييب الخاطر تماماً: التشفي، فترى بعض أصحاب النفوس المريضة يفرح برسوب أولاد الجار، أو تطاول الأبناء على أبيهم، أو مصيبة أحد زملائه في العمل، أو الموظفة لما أصاب زميلتها في العمل من الطلاق، كيد، وحسد يدفع للتشفي، هذه من صفات المنافقين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٣٤] .فهذه من أسوء الصفات على الأطلاق فأين رادع الدين والفطرة والأخلاق

ومن أصعب مارأيت بعيني بعض الناس يتشفى ويفرح جدا لموت فلان من الناس لانه كانت بينهما خصومة أو عداوة وهذا من أقبح التشفي ومن أسوء الأخلاق الذميمة فلنحذر جميعا هذه الصفة.

اعلم أنك لن تستطيع ان تجبر خواطر من حولك إذا كنت تمتلك لصفة الأنانية وحب الذات ففي ذلك الوقت سوف تشعر بأنك فوق الجميع ولا احد يرتقي ان تتحدث معه وتشعر بأنك تعيش في دنيا لا يوجد بها أحد غيرك أنت الوحيد المستحق فيها أن تعيش سعيد ممايجعلك تقلل من مشاكل وأزمات الأخرين لأنك لن تري سوي نفسك لذا عليك بالتخلي

[34] آل عمران: ١٢٠

عن هذه الصفات الذميمة والتحلي بالتواضع كي تستطيع خدمة الاخرين بمحبة .

يا عائداً قد جاء يشمت بي قد زدت في سقمي وأوجاعي

وسألت لما غبت عن خبري كم سائل ليجيبه الناعي

نحتاج اليوم إلى تطييب الخاطر، وقد تكون مواقع بعض الناس الاجتماعية مؤهلة لهم لذلك: كالمفتي، والعالم، والإمام، والخطيب، والطبيب، وغير ذلك وهكذا المدير، فإن المدير يقوم بدور عظيم في تطييب خواطر الموظفين، والكلمة اللطيفة منه، والتشجيع، والدعم النفسي والمعنوي لا شك أن له أثر عظيم في نفوس من تحته، وقد يصبح المريض صحيحاً بمثل هذا، ويصلح المخطئ، ويزول حزن المهموم، والكلام يجب أن يُنتقى بمثل: التذكير برحمة الله، سعة فضله، إن مع العسر يسرا، بعد الهم فرجاً، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، انتظار الفرج عبادة، رحمة الله بالمضطرين، أمن يجيب المضطر إذا دعاه.